الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما اكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك ان الملك سمع كلام فلان اذا اعتد به
وقبله رب اجعلني مقيم الصلاة يعني من يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي
اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم
باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي ربنا وتقبل
دعاء سأل ابراهيم عليه السلام ان يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم عليه السلام وقبل دعاءه بفضله
وكرمه ربنا اغفر لي **فان قلت** طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف
حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم السلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له
قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه
ومنه والاعتراف بعبوديته لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي **فان قلت** كيف
استغفر ابراهيم عليه السلام لابويه وكانا كافرين **قلت** اراد انهما ان اسلما وتابا
وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه
ادم وحوى عليهما السلام قوله وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يبدو ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس
فيه للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء
خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو
يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود منه
ان الله تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم
ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **فان قلت**
تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل
له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون **قلت** ان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا
تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين امنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي
عن حسبانه غافلا الاعلام بان الله تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد
والتهديد لهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان الخطاب لغير النبي صلى الله عليه
وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
قوله عز وجل انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر الشخص اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا ينظر
فيهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة رحمه الله مسرعين
وهذا قول ابي عبيد فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف فانه يبقى
واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتاد فاخبر
انهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل مقنعي رؤسهم
الاقناع رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد
لان من توقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض ولا ينظر احد الى احد لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم

ابصارهم

ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم هواء اي خالية قال
قتادة رحمه الله خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها
ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير
وافئدتهم هواء يعني مترددة تهوي في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب
يومئذ زائلة عن اماكنها والابصار شاخصة والرؤوس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته
وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله عز وجل يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين
ظلموا يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال
بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى نجب دعوتك ونتبع الرسل
فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث
ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية
كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف عقوبتنا اياهم وضربنا
لكم الامثال يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القران ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من
شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف هلكوا ان يعتبر بهم ويعمل
في خلاص نفسه من العقاب والهلاك وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل
يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور
وقيل ان المراد بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني بسبب كفرهم وعند الله مكرهم يعني جزاء مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني وان كان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان
مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب في الاية
قولا اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم
حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افراخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبرن
واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات اربع
في اطراف التابوت وجعل على رؤوس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت واقعد معه رجلا اخر
وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعلت النسور كلما رات اللحم رغبت فيه وطارت اليه
فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهوى فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء
هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف
تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت
حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السماء كهيئتها
وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي ايها الطاغي اين تريد قال عكرمة وكان معه في
التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بالدم كأنه
قد قذف بنفسها في بحر في الهوى وقيل ان طائرا اصابه السهم فلما رجع السهم ملطخا بالدم قال كفيت اله
السماء ثم امر نمرود صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم فهبطت النسور بالتابوت
فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث حدث من السماء وان الساعة

Copyright © King Saud University